

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٦٦٥ : خ ١ - حقيقة الاحتفال بالمولد ٢ ، خ ٢ - الأصل العلمي في تحريم النسب.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٧-٠٧-١٩٩٨

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله نعمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### مديحنا للنبي الكريم للاستفادة من شمائله و سنته و سيرته :

أيها الأخوة الكرام: نحن في مناسبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم. الحقيقة الأولى في هذه الخطبة أن النبي عليه الصلاة والسلام له عند الله مقام كبير، هو سيد الخلق، هو سيد ولد آدم، هو خاتم الأنبياء والمرسلين، هو الذي بلغ سدره المنتهى، هو الذي رأى من آيات ربه الكبرى، هو الذي أقسم الله بعمره الثمين، فمديحنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزيد من مقامه شعرة، وعدم مديحنا لا يهز هذا المقام إطلاقاً، وكل إنسان له عند الله مقام، لا يرفعه مدح المادحين، ولا يخفضه ذم الدامنين، هذه الحقيقة مُسَلِّمٌ بها. إننا حينما نذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كي نستفيد نحن من شمائله، من أخلاقه، من سيرته، من سنته، من مواقفه، من محبته لله عز وجل.

### حبّ الإنسان للكمال و الجمال و النوال :

الحقيقة الثانية - وهي دقيقة جداً - الإنسان في فطرته يحب الكمال والجمال والنوال، لناخذ الكمال: فإذا قرأ سيرة سيد الأنام، إذا رأى تواضعه، إذا رأى رحمته، إذا رأى عدله:

(( ... والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ))

[متفق عليه عن عائشة أم المؤمنين]

إذا رأى رحمته؛ كان يصلي بالناس صلاة الفجر، ومن عادته أنه يطيل في صلاة الفجر، لأنها ركعتان... والإنسان نشيط يصلي بعد نوم مديد، فسمع بكاء طفل، فاختصر صلاته وسلم رحمةً بأمه، وكأن ابنها يناديها ببكائه. رحمته، عدله، تواضعه، إخلاصه، وفاؤه..

الأنصار - أيها الأخوة - وجدوا عليه في أنفسهم، من أجل غنائم وزَّعها باجتهاده صلى الله عليه وسلم واعتمد على إيمان الأنصار فوجدوا عليه في أنفسهم، وقد نقلوا له هذا عن طريق زعيمهم، فقال يا سعد: أين أنت منهم؟ قال: ما أنا إلا من قومي، فقال: اجمع لي قومك، فجمعهم ثم قال: يا معشر الأنصار.. مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم، من أجل لعاعة تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم. يا معشر الأنصار - الآن دققوا، كان عليه الصلاة والسلام في قمة نجاحه، دانت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها - قال: يا معشر الأنصار، لو أنكم قلتم فلصدقتم ولصدقتم؛ أتيتنا مكذباً فصدقناك، وطريداً فأويناك، ومخدولاً فنصرناك، يا معشر الأنصار ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي؟ ألم تكونوا عالة فأغناكم الله؟ ألم تكونوا أعداء فألف بين قلوبكم؟ أوجدتكم عليّ يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتعودون أنتم برسول الله إلى رحالكم؟ اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، فبكوا حتى أخضلوا لحاهم. كان عليه الصلاة والسلام بإمكانه أن يلغي وجودهم، وكان بإمكانه أن يهدر كرامتهم، وكان بإمكانه أن يتهمهم بالنفاق، وكان بإمكانه أن يهملهم، وكان بإمكانه أن يعاتبهم لمصلحته، ولكنه ذكرهم بفضلهم عليه، ذكرهم وهو في أوج قوته بفضلهم عليه..

هذه القصة أين مكانها مع وفائه أم مع إخلاصه لمن حوله؟ أم مع رحمته؟ أم مع حنكته؟ أم مع حسن سياسته؟! الإنسان يحب الكمال، فإذا قرأ سيرة سيد الكاملين يطرب، لكن دققوا يطرب لكن لا يرقى، تطرب بحكم فطرتك، لكنك لا ترقى إلا إذا اتبعته، إلا إذا اقتفيت أثره، إلا إذا طبقت سنته، في بيتك، في عملك، في شؤونك، في أفراحك، في أتراحك، في تجارتك، في سفرك، لا ترقى إذا مدحته، تطرب ولا ترقى، تطرب بحكم فطرتك، لكنك لا ترقى إلا إذا اتبعته. فرق كبير بين أن نمضي وقتاً طويلاً في المديح وبين أن نشمر ونأخذ سنته فنجعلها منهجاً لحياتنا، فرق كبير أن نظرب حينما نتحدث عن شمائله، وأن تكون سنته مطبقةً في بيوتنا، مطبقةً في عبادتنا، مطبقةً في عقائدنا، مطبقةً في حركتنا في الحياة.

فالعبارة لا في المديح، ولكن العبارة في التطبيق، العبارة في المتابعة، وقد ذكرت لكم في خطبة سابقة أن الله جل جلاله لن يقبل من المؤمن أن يدعي محبته إلا بالدليل، والدليل؛ اتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة آل عمران: ٣١]

## مديحنا للنبي لا يرقى بنا إلا إذا جعلنا من منهجه القويم منهجاً في حياتنا :

نحن في مناسبة مولد النبي عليه الصلاة والسلام، مديحنا له شيء جيد وشيء مسعد، لكن لا يرقى بنا.

مثلاً: لو أن شاباً لا يقرأ ولا يكتب، أمي لسبب أو لآخر، وله أب من أعلم علماء الأرض، مهما أتى الشاب على أبيه، الشاب هو هو في مرتبة الجهل، والأب هو هو في مرتبة العلم، أثن على أبيك ما شئت، تحدث عنه في كل مكان، املاً المجلس مديحاً له، الشاب هو هو في جهله، والأب هو هو في علمه، ولكن متى يرقى هذا الشاب؟ إذا سلك طريق أبيه، إذا أخذ الشهادة الإعدادية، إذا نال الشهادة الثانوية صار درجة ثانية، إذا نال اللسانس صار درجة ثالثة، هذه النقطة مهمة جداً - أيها الأخوة - مديحنا له مع أنه يسعدنا، مع أننا نظرب له، بحكم فطرتنا، وفطرتنا ليست كسبية، إنما هي وهبية، نحن فطرنا على حبّ الكمال، حبّ الكمال والجمال والنوال، مفطورون على حبّ الكمال، فإذا قرأنا سيرة سيد الكاملين نظرب، وقد نبكي، ولكن لا نرقى عند الله إلا إذا اتبعناه، ولا تنسوا مثال الابن الجاهل والأب العالم، مهما تحدث الابن عن أبيه، هو هو، ومهما أراد أحد أن ينتقص من أبيه أبوه هو هو هكذا، هذه سنة الله في خلقه، فمديحنا له في مناسبة مولده صلى الله عليه وسلم، شيء رائع جداً، ولكن لا يرقى بنا، إلا إذا جعلنا من منهجه القويم منهجاً في حياتنا. ليس الإسلام أن تصلي، وأن تصوم، وأن تؤدي هذه العبادات فحسب إلا أن الإسلام منهج كامل، منهج يزيد عن مئة ألف بند، يعطي كل شؤون حياتك، فحينما تعتمد منهج الله في كسب المال، وفي إنفاق المال، وفي قضاء الإجازة، وفي احتفال العرس، وفي احتفال عقد القران، وفي المناسبات الحزينة، حينما تعتمد منهج الله عز وجل، فأنت متبع لسنة رسوله.

## التبرك بالنبي لا يرقى بنا إذا كان مجرداً من التطبيق :

شيء آخر ؛ أنه جلّ جلاله خلق الخلق ليكونوا على شاكله محمد، ولم يخلق الخلق من أجل محمد، خلقهم وجعل لهم أسوة حسنة، أسوة يرقون بها، أما أن الخلق خلقوا من أجل محمد فهذا شطح وتجاوز لما في الكتاب والسنة، إننا أمرنا أن نقتدي بمحمد صلى الله عليه وسلم وأن نتأسى به، وأن يكون عليه الصلاة والسلام قدوة لنا.

مثل آخر أضعه بين أيديكم، والمثل يوضح بعض الحقائق؛ عالم كبير، له مئتا مؤلف، ويحمل عدداً من الشهادات العليا، وله سمعة متأقفة في سماء العلم، وعند هذا العالم الكبير مستخدم في مكتبته لو أن هذا المستخدم في غيبة هذا العالم الكبير جلس في مقعده وراء مكتبته هل يرقى درجة؟ أول نقطة: مديحنا له يطربنا ولكن لا يرقى بنا، أن نصلي مكان صلاته في الحرم النبوي، شيء رائع، وقد يبكي الإنسان؛ هنا صلى النبي، هنا سجد النبي، هنا وقف النبي، هنا قاتل النبي، هنا وقف في بدر، شيء رائع، ولكن لا يرقى بنا، هذا المستخدم، هذا الحاجب الذي عند هذا العالم

الكبير، لو قفز وجلس على مقعده في غيبته لا يرقى درجة، ولا شعرة، أما إذا أخذ الشهادة الأولى، الإعدادية فيرقى، حينما يسلك طريق أستاذه يرقى.

نقطتان أساسيتان في هذه الخطبة: لا يرقى بنا المديح المجرد عن التطبيق، كما لا يرقى بنا التبرك المجرد عن التطبيق، لا هذا يرقى بنا، ولا هذا يرقى بنا، قد نطرب للأول، وقد نتأثر بالثاني، ولكن الذي يرقى بنا، وينهض بنا، أن نأخذ هذا المنهج الإلهي، الذي جعله الله وحياً غير متلو، وأن نطبقه في حياتنا كلها.

### النبي الكريم سيد البشر :

يقول الله عز وجل:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة التوبة: ١٢٨]

يجب أن تعلم علم اليقين أن النبي بشر، ولأنه تجري عليه كل خصائص البشر، كان سيد البشر، لأنه تجري عليه كل خصائص البشر وانتصر على بشريته كان سيد البشر. أما أن تتوهم أن له خصوصيات تلغي شهواته، له خصوصيات تلغي كل المتاعب التي لاقاها فعن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوْذِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَكَلِيلَةٍ وَمَا لِي وَلِبَلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ نُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

لأنه بشر، وتجري عليه كل خصائص البشر كان سيد البشر:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة التوبة: ١٢٨]

ولولا أنه بشر لما أقيمت الحجة علينا، ولو أنه ملك لقلنا: يا رب إنه ملك، ونحن بشر، لو أن له خصوصيات تلغي شهواته، تلغي بشريته، لقلنا: يا رب إن له حالات خاصة..

﴿قُلْ لَا أَمَلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة الأنعام: ١٨٨]

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة الأنعام: ١٥]

لقد جاءكم رسول من أنفسكم؛ من جنسكم، من جبلتكم، من طبيعتكم، يشعر بما تشعرون، ويؤلمه ما يؤلمكم، ويفرحه ما يفرحكم، بشر، ولكنه انتصر على بشريته فكان سيد البشر..

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة التوبة: ١٢٨]

هل تحمل هموم المسلمين؟ هكذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يحمل هموم المسلمين، هل تفكر كيف أخلُّ مشكلةً من مشكلات المسلمين؟ كيف أسهم في حلِّ مشكلة؟ كيف أرعى المسلمين؟ كيف أنشر الحق بين المسلمين؟

عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم، يؤلمه أشدَّ الألم عنادكم وانصرافكم عن الحق وتفلتكم من المنهج، عزيز عليه ما عنتم؛ العلماء يقولون: إن أرحم الخلق بالخلق قاطبة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرحم الخلق بالخلق، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، ألا ينبغي أن نفتني أثر النبي عليه الصلاة والسلام:

**((والله ما آمن، والله ما آمن، والله ما آمن، من بات شعبان وجاره جائع وهو يعلم))**

[ الطبراني عن أنس ]

ألا ينبغي أن تحمل همّ المسلمين؟ ألا ينبغي أن يتفطر قلبك لما يصيبهم؟ ألا تسهم بشكل أو بآخر بتزويج شاب؟ بتبني داعية؟ بخدمة مسجد؟ بطبع كتاب؟ بنشر حق؟ برعاية ميتم؟ بتأسيس ثانوية شرعية؟ ألا تحمل همّ المسلمين؟ ألا تتمنى أن يكونوا بخير؟ من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، هو يعيش وحده، انسحب من المجتمع، يتوقع في برج عاجي، بعيد عن حالات المسلمين.

الأنبياء العظام، صفوة الله من خلقه، قم المجتمعات البشرية، كانوا مع الناس، يمشون في الأسواق، يرون مشكلاتهم، هم معهم في مشكلاتهم لا في سقوطهم، هم في برج عاجي أخلاقي، لا في برج عاجي فكري، كانوا مع البشر، وفي الوقت نفسه كانوا بعيدين عن انحطاط البشر، هكذا ينبغي أن يكون المؤمن، مع الناس وبعيداً عن الناس في وقت واحد، معهم في مشكلاتهم، معهم بأمراتهم، معهم بتفلتهم، يبحث عن أسباب تفلتهم، بعيداً عن سقوطهم أو انحرافهم.

**تزويد النبي بقدرات عالية لتكون عوناً له على الدعوة :**

نقطة مهمة جداً أضعها بين أيديكم، النبي عليه الصلاة والسلام أعطي قدرات عالية جداً، لتكون له هذه القدرات عوناً له على الدعوة:

**﴿سُقْرُوكَ فَلَا تَنَسَى﴾**

[سورة الأعلى: ٦]

أوتي ذاكرةً عجيبة، يُتلى عليه القرآن مرةً واحدة فيحفظه، هذه خصوصية، خصّ الله بها النبي، كان عليه الصلاة والسلام قد أوتي الحكمة، حكمة ما بعدها حكمة، ذكرت لكم نموذجاً منها في مطلع الخطبة، حينما امتص نقمة الأنصار، هذه حكمة بالغة.

أوتي جوامع الكلم، مكنه الله من أعلى بيان يملكه إنسان، أفصح نص بعد القرآن كلام النبي العذنان. نصر بالرعب مسيرة شهر، جعل الله له هيئةً عظيمة، أوتي قوةً جسدية، صرع أبا ركانة عدة مرات، أوتي بهاء المنظر.

وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء  
خُلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء

\*\*\*

كان قائداً فذاً، كان قاضياً فهماً، كان مجتهداً نجيباً، كان قائداً عسكرياً، كان زعيماً أمة، كان أباً كاملاً، زوجاً وفيماً، جاراً رحيماً، ولكن الله حينما مدحه بماذا مدحه؟ أوضح لكم هذه: أنت أب ميسور الحال، أعطيت ابنك سيارة، جلست في مجلس عام وقلت: ابني متفوق لأن عنده سيارة، كلام مضحك، هذه من عندك لا من عنده. أعطيته بيتاً، لا يمدح ابنك بهذا البيت، لأنه من عندك، أما حينما تقول: نجح ابني في مرتبة عالية في الامتحان، فهذه من عنده.

**الخلق العظيم من كسب النبي أما الخصائص التي أوتيتها فهي من فضل الله :**

ربنا عز وجل ما أتى على النبي بما خصّه من خصائص، أتى عليه بما كان كسباً له شخصياً، قال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم: ٤]

الخلق العظيم من كسب النبي، أما الخصائص التي أوتيتها النبي فهي من فضل الله عز وجل. قال ابن عباس: " إنك لعلی خلق عظیم، إنك لعلی دین عظیم " الدين هو الخلق ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.

((عن سعيد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة فقالت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: ( وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ... ))

[متفق عليه عن سعيد بن هشام بن عامر]

وتأدب بأدب القرآن، خلقه العظيم أنه انتمر بما أمر، وانتهى عما نهى عنه، عند الحلال والحرام، خلقه عظيم، طبعه كريم، يألف ويؤلف، محب للآخرين، يقبل أذارهم، يتجاوز عن مسيئتهم، سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: هذه أخلاقه، اقرؤوا:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ  
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

[سورة المؤمنون : ١١-١]

تقول السيدة عائشة أيضاً: " ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما دعاه أحد إلا قال: لبيك " لولا التشهد كانت لاؤه نعم... لم يُذكر خُلقٌ محمود إلا وكان للنبي عليه الصلاة والسلام الحظ الأوفر، سُمي خلقه عظيماً لأنه لم تكن له همة سوى الله.

**اجتماع مكارم الأخلاق كلها برسول الله صلى الله عليه وسلم :**

سُمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه؛ هذا شجاع، وهذا كريم، وهذا جريء، وهذا صادق، لكن مكارم الأخلاق كلها مجتمعة برسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول عن نفسه صلى الله عليه وسلم:

**(( إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ ))**

[أخرجه مالك عن بلاغ مالك]

فحوى رسالته، أن يتخلق المسلمون بالخلق الرفيع الذي هو ثمن الجنة. سُمي بهذا الخلق العظيم لأنه امتثل أمر الله عز وجل، وأدب الله عز وجل حينما قال له:

**﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾**

[سورة الأعراف: ١٩٩]

و :

**(( عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ ))**

[الترمذي عن أبي الدرداء]

إن صاحب الخلق الحسن ليبلغ به صاحب الصلاة والصوم.

**(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُنِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ - تَقْوَى اللَّهِ، طَاعَةَ اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ - وَسُنِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: الْفُجْرُ وَالْفَرْجُ ))**

[الترمذي عن أبي هريرة]

شهووتا المال والنساء، هما نقطتا الضعف عند عامة الناس، من هاتين الشهوتين يؤخذ الناس ويهلك الناس.

**تواضع النبي الكريم و خلقه الحسن :**

سئل عن الخلق الحسن، قال:

## (( بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى ))

[أخرجه أبو يعلى وابن أبي شيبة عن أبي هريرة]

كان عليه الصلاة والسلام متواضعاً، وأدبه الله على هذا الخلق، قال تعالى:  
﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا  
نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾

[سورة الإسراء: ٩٣]

## (( إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة ))

[ابن ماجه عن أبي مسعود]

﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ  
وَأَبْقَى﴾

[سورة طه: ١٣١]

لا تقل لو أن لي هذا البيت، ولو أن لي هذه المركبة، هي للدنيا:

## (( اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.. ))

[البخاري عن أنس بن مالك]

هكذا كان يقول عليه الصلاة والسلام إذا رأى شيئاً من زينة الدنيا. ولا تحزن عليهم، حينما مدَّ  
الناس عيونهم إلى الدنيا، وباعوا آخرتهم من أجلها، حينما تنافسوها، حينما نشبت بينهم العداوات  
من أجلها لا تكن في هذا الوحل، كن في السماء، ولا تكن في وحل الأرض. أتحبون قانوناً يؤلف  
بين الناس؟ قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ  
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

الباء: باء السببية ؛ بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد، من خلال اتصالك بنا، كنت لنا لهم،  
فاللين سلوك مبعثه الرحمة، والرحمة سببها الاتصال بالله، قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

فالتفوا حولك، ولو لم تكن متصلاً بنا لامتأ قلبك قسوة، وكان انعكاس هذه القسوة غلظة  
وظفاظة، عندها ينفض الناس من حولك:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ  
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

قانون: تعرف الله، فتصل به، فيمتلئ قلبك رحمة، فتلين للناس، فيحبك الناس، فيلتفون حولك.  
تغفل عنه، تنقطع عنه، فيمتلئ القلب قسوة، فينعكس غلظة وظفاظة، فينفض الناس من حولك.



﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَلَّوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ  
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

بعد أن عفوت عنهم، فاستغفر لهم، فلما استغفرت لهم شاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله.

## من أدب النبي خدمة أصحابه و الحرص على مصالحهم :

من أدب النبي عليه الصلاة والسلام:

﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الشعراء: ٢١٥]

كان عليه الصلاة والسلام يخدم أصحابه، كان يحبهم، كان يحرص على مصالحهم، كان يحرص على آخرتهم، كان معهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. إن رأيت مجتمع المسلمين مفككاً، فمن فعل الشيطان، لأن الشيطان أحد أكبر مهماته التحريش بين المؤمنين، وتفريق جمعهم، وتشيت وحدثهم، وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم، وأن يطعن بعضهم ببعض، وأن يكفر بعضهم بعضاً، وأن يسخر بعضهم من بعض، فإذا هم فرادى لا تقوم لهم قائمة، قال تعالى:

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة الأنفال: ٤٦]

## أخلاق النبي في كلام مختصر مفيد :

جمع بعض كتاب السيرة في كلام مختصر مفيد أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام فقال: "لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جَمَّ التواضع، وافر الأدب، يبدأ الناس بالسلام، وينصرف ب كله إلى محدثه، صغيراً كان أو كبيراً، ويكون آخر من يسحب يده إذا صافح، وإذا تصدق وضع الصدقة بيده في يد المسكين، وإذا جلس جلس حيث ينتهي به المجلس، لم يرَ ماداً رجليه قط، ولم يكن يأنف من عمل لقضاء حاجته، أو حاجة صاحب، أو جار، فكان يذهب إلى السوق، ويحمل حاجته بيده ويقول: أنا أولى بحملها، وكان يجيب دعوة الحرِّ، والعبد والمسكين، ويقبل عذر المعتذر، وكان يرفو ثوبه، ويخصف نعله، ويكنس داره، ويخدم نفسه، وكان في مهنة أهله، وكان يأكل مع الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبائس، وكان يمشي هوناً، خافض الطرف، متواصل الأحزان، دائم الفكرة، لا ينطق من غير حاجة، طويل السكوت، إذا تكلم تكلم بجوامع الكلم، كان دمثاً ليس بالجافي، ولا المهين، يعظم النعم وإن دقت، ولا يذمُّ منها شيئاً، ولا يذمُّ مذاقاً، ولا يمدحه، ولا تُغضبه الدنيا، ولا ما كان منها، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا غضب

أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، كان يؤلّف ولا يُفرق، ويُقرب ولا يُنفر، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، يُحسّن الحسن ويصوبه ويُقبّح القبيح ويوهّنه، لا يُقصر عن حق، ولا يتجاوزُه، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، من سأله حاجة لم يردّه إلا بها، أو ما يسرّه من القول، كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عيَاب ولا مزّاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُخيب فيه مؤمله، وكان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يُرجى ثوابه، يضحك مما يضحك منه أصحابه، ويتعجب مما يتعجبون، ويصبر على الغريب وجفوته في مسأله ومنطقه، لا يقطع على أحدٍ حديثه حتى يجوزه".

والحديث عن شمائله لا تتسع له المجلدات ولا خطب في سنوات ولكن الله جل في علاه لخصها في كلمات فقال:

### ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم: ٤]

أيها الأخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى، والحمد لله رب العالمين.

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### الأصل العلمي في تحريم النسب :

يقول الله جل جلاله في كتابه العزيز :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْنَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾

[سورة النساء: ٢٣]

وفي النهاية وأخواتكم من الرضاعة، وقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ جَاءَ عَمِّي مِنَ الرَّضَاعَةِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيَّ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّهُ عَمَّكَ فَأَذْنِي لَهُ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَرْضَعْتَنِي الْمَرْأَةَ وَلَمْ يُرْضِعْنِي الرَّجُلُ؟ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ عَمَّكَ فَلْيَلِجْ عَلَيْكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ ((

[متفق عليه عن عائشة]

إن هذين النصين الآية والحديث يدلان على أمرين، الأول أن الرضاعة بشروطها المعروفة تجعل الابن الرضيع ابناً للمرضع، وأخاً لمن يشاركه في الرضاعة، من خلال هذين النصين، الآية والحديث، وإن القرابة من الرضاعة تثبت وتنتقل في النسل، في ضوء المعلومات الحديثة التي جاءت بها الهندسة الوراثية، وهي أحدث بحوث الطب، الهندسة الوراثية تؤكد أن الرضاعة تنتقل بعض الجينات من المرضعة إلى الرضيع، وهذه القرابة التي جعلها النبي في السنة كقرابة النسب، وجعلها القرآن أيضاً كذلك، هذه القرابة سببها علمي انتقال الجينات من حليب الأم المرضع إلى الرضيع، هذه الجينات تخترق خلايا الرضيع، وتندمج معها في سلسلة الجينات التي عند الرضيع، أي حليب الأم الذي يشربه الرضيع تصل خصائصه إلى جيناته إلى مورثاته، وقال العلماء: لأن الحليب يحتوي على أكثر من نوع من الخلايا، ولأن الجهاز الوراثي في الرضيع ينقل الجينات الغريبة ويقبلها لأنه غير ناضج، فالطفل الرضيع جهازه الوراثي يتقبل جينات غريبة، فإذا أرضعت امرأة طفلاً، الجينات التي في حليبها تخترق خلاياه وتستقر في جينات خلاياه، وتصل إلى جهازه الوراثي، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((.. يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ ))

[مسلم عن عائشة]

النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فكل شيء في القرآن والسنة الصحيحة له أصل علمي، الآن عرف علماء الوراثة أن هذا الحليب المؤلف من مجموع خلايا يخترق نسج الجنين إلى جيناته الأساسية، ويندمج بها، وأن جهازه الوراثي يتقبل كل شيء غريب حتى يصبح كأنه منه، فالنبي عليه الصلاة والسلام، حينما قال:

((.. يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ ))

[مسلم عن عائشة]

كان عليه الصلاة والسلام ينطق عن وحي أوحاه الله إليه.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، لك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك، اللهم هب

لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودينانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك. اللهم لا تؤمننا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

**والحمد لله رب العالمين**